الحياة الثقافية
صفحة تعنى بالآداب والفنون والتراث
5
السبت 2026/2/28 - العدد 10861
Saturday 28 February 2026 - No. 10861
للمراسلات: culture@alhaya.ps

مهيب البرغوثي

"أصحاب الأرض".. حين تتحول الدراما إلى ذاكرة تقاوم النسيان

في الأزمنة التي يفيض فيها الدم وتضيق فيها اللغة، تصبح الحكاية فعل نجاة. لا لأن السرد يغير مجرى التاريخ، بل لأنه يمنع التاريخ من أن يتحول إلى صمت. من هنا يمكن قراءة مسلسل «أصحاب الأرض» بوصفه أكثر من عمل درامي؛ بوصفه محاولة لإعادة الإنسان إلى مركز الصورة، بعد أن كادت الأرقام تختزل المأساة وتجردها من ملامحها.

يقف العمل عند سيكولوجية المواطن الفلسطيني، عند ذلك التعلق بالأرض الذي يتجاوز البعد الجغرافي إلى معنى وجودي مركب ،الأرض هنا ليست مساحة ترابية، بل ذاكرة ممتدة، وهوية تتجدد في وجه المحو، وعلاقة يومية مع الألم بوصفه قدرا وموقفا في آن. لذلك لا يبدو الصمود في «أصحاب الأرض» شعارا عاطفيا، بل ممارسة حياتية تتشكل في تفاصيل صغيرة: في أم تخبئ خوفها، في طفل يتعلم معنى الفقد مبكرا، في بيت يتداعى ولا تتداعى معه الرغبة في البقاء.

اللافت أن المسلسل، الذي يقدمه المخرج بيتر ميمي، لا يعرض المأساة كخبر عابر، بل كتجربة شعورية كاملة. المجزرة لا تظهر كعنوان في نشرة، بل كحياة انكسرت فجأة: وجوه، علاقات، أحلام يومية بسيطة. هنا تتقدم الدراما خطوة إلى الأمام؛ فهي لا تكتفي بتسجيل الحدث، بل تعيد ترتيبه في الوعي، وتمنحه بعده الإنساني والأخلاقي. هذا ما يفسر حالة الجدل التي أثارها العمل في بعض الأوساط الإعلامية الإسرائيلية، بعد تناوله أبعادا إنسانية من معاناة الفلسطينيين خلال حرب الأبادة في غزة عام 2023. فالدراما، حين تقترب من الألم بوصفه ألما بشريا، لا سياسيا فحسب، تخلخل السرديات الجاهزة، وتفتح نافذة على رواية طالما حوصرت بالتأويل أو الإقصاء.

غير أن السؤال الأعمق الذي يطرحه «أصحاب الأرض» يتجاوز راهنيته: هل المجزرة هي التي تخلق الدراما، أم أن الدراما هي التي تعيد خلق المجزرة في الوعي الجمعي؟ تاريخيا، الحدث يسبق الحكاية. الدم يسفك أولا، ثم تأتي اللغة محاولة الفهم والتفسير. المجزرة تصنع المادة الخام: الألم، الفقد، الغضب. لكن الدراما تصنع المعنى: لماذا حدث ما حدث؟ كيف عاش الناس لحظته؟ ماذا تبقى بعده؟ بهذا المعنى، لا تكون الدراما انعكاسا سلبيا للواقع، بل فعلا تأويليا يعيد ترتيب الفوضى في صورة قابلة للإدراك.

وثمة بعد أكثر تعقيدا: أحيانا لا يكون الحدث حاضرا في الوعي العام بالقدر ذاته الذي حضر به في الواقع. قد يقع في هامش التغطية، أو في ظل صمت سياسي، فتأتي الدراما لتكسر هذا الصمت، وتعيد المأساة إلى مركز الانتباه. هنا تتحول من نتيجة إلى مبادرة، ومن صدى إلى صوت.

في سياق الصراع على الأرض، تكتسب الدراما وظيفة إضافية: تصبح وثيقة وجدانية. ليست بديلا عن التاريخ المكتوب، لكنها تمنح التاريخ روحا. ما يدون في الكتب يبقى معرضا للتأويل البارد، أما ما يروى على الشاشة فيتسلل إلى العاطفة، ويقيم في الذاكرة. لذلك تبدو العلاقة بين المجزرة والدراما علاقة جدلية:

المجزرة تخلق الحاجة إلى السرد،
السرد يخلق ذاكرة جماعية،
والذاكرة تعيد تعريف الحدث وتمنحه معناه الإنساني

من هنا، لا يقدم «أصحاب الأرض» إجابة حاسمة بقدر ما يعمق السؤال. إنه يذكرنا بأن الدم حين يسفك يصنع تاريخا، لكن الحكاية حين تروى تصنع وعيا. وبين التاريخ والوعي تتشكل الهوية، لا بوصفها شعارا، بل تجربة معاشة

في النهاية، قد لا تستطيع الدراما أن تمنع المأساة، لكنها تستطيع أن تمنعها من أن تتحول إلى خبر عابر. وهذا، في زمن النسيان السريع، شكل من أشكال المقاومة الثقافية؛ مقاومة تحفظ للإنسان وجهه، وللأرض اسمها، وللذاكرة حقها في البقاء.

إسرائيل في بينالي البندقية.. منصة للثقافة أم واجهة للاستعمار؟

منذر جوابرة*

ينتقل الصراع من القتل والتهجير على أرض غزة، إلى أروقة المحافل الدولية كما يحدث الآن في بينالي البندقية للعمارة المقرر افتتاحه في 9 مايو/ أيار 2026، فبعد أن أغلق الجناح الإسرائيلي مشاركته في عام 2024 بسبب حرب الإبادة على غزة، وموجة الاحتجاجات الشعبية العارمة ضد سياسات الاحتلال، يحاول العودة هذا العام مستخدما كل الأدوات المتاحة لتأكيد روايته الاستعمارية على أنها وجهة نظر إنسانية.

وإذ تمثل المشاركة في البينالي عادة السياسات الثقافية للدول المدعوة، وتعد منبرا مهما لترويج الثقافات عبر الفن، ومشاركة الشعوب حول العالم قضاياها ومعاناتها، تدرك إسرائيل جيدا أهمية هذا الفضاء. لذلك، لم يأت اختيار الفنان وقيمي الفن الإسرائيليين عبثا، إذ يقدمون خطابا مصمما بدقة لمخاطبة الذائقة الأوروبية، عبر الاشتغال على مواضيع تبدو "تقدمية"، بصورة مغايرة للقمع والانتهاكات التي تتواصل يوميا في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

احتجاجا على هذه المشاركة، يقود تحالف "الفن لا الإبادة الجماعية" (ANGA) الحملة الدولية لمقاطعة البينالي في دورته المقبلة، مطالبا باستبعاد إسرائيل، إذ هدد بمقاطعة شاملة ما لم تستجب إدارة البينالي في منتصف أكتوبر/ تشرين الأول الماضي في بيان نشره التحالف على موقعه الرسمي، وهو ما جددته الحملة في تحذيرات أطلقتها الشهر الماضي أيضا.

ويستند التحالف في حملته إلى عريضة سابقة وقعها أكثر من 24,000 فنان وقيم وعامل ثقافي في دورة 2024، و471 فنانا سبق لهم المشاركة في البينالي، كما انضمت جهات مؤسسية للمقاطعة، أبرزها

انسحاب جنوب أفريقيا رسميا بعد رفض الفنانة غابرييل جولياث تعديل عملها الذي تتضامن فيه مع فلسطين. وعلى الصفحة الرسمية لحملة المقاطعة (PACBI) نشر بيان يشيد فيه بدور "الفن لا الإبادة الجماعية" الذي يدعو إلى مقاطعة البينالي، ويذكر أنها من أكثر الحركات اتساعا وتأثيرا في تاريخ التظاهرة.

كيف توظف إسرائيل "النقد الذاتي"؟

ما يبدو للوهلة الأولى تأملا نقديا ذاتيا داخل الجناح الإسرائيلي، هو في الحقيقة أسلوب دبلوماسي ناعم صمم بدقة متناهية، جرى عبر اختيار قيمين متخصصين وهما سورين هيلر وأفيتال بار-شاي، من أجل تغليف مشروع استعماري بلغة تخاطب بها الأوساط الأوروبية بما تريد أن تسمعه، متبنية همها الثقافي ذاته.

لم يأت اختيار الفنان وقيمي الفن الإسرائيليين عبثا

هذا الخطاب الذي يطرح أسئلة كبرى حول "من يملك الحق في رواية القصة؟" يصبح أكثر غرائبية عندما يبدو أنه خطاب نموذجي في قاعات البينالي، تتوارى خلفه سياسات استيطانية وإبادة جماعية تمارس يوميا في فلسطين وعلى مرأى العالم. وهنا، يخدم النقد الذاتي المصنع غرضا مزدوجا، فهو من جهة ينزع فتيل أي نقد أوروبي محتمل، ومن جهة أخرى لا يتطلب أي تغيير ملموس على الأرض، بل يستمر الاحتلال، وتتوسع المستوطنات، وتقصف غزة، في الوقت الذي يسمح فيه لاحتلال استعماري استيطاني أن يؤدي دوره تحت حماية حريات التعبير، واستغلال التأمل والضمير والجمال كتمويه لتحسين صورة المستعمر بثوب الإنسانية، ومشاركته الآخرين لذاكرة المحو والإبادة وكأنه لا يعلم شيئا.

استراتيجية التمويه

طور المؤرخ البريطاني الأسترالي باتريك وولف نظرية الاستعمار الاستيطاني القائمة على منطق الإبادة، الذي لا يهدف لاستغلال السكان الأصليين فحسب، بل يسعى لمحو وجودهم والسيطرة على الأرض؛ فالمستوطن جاء ليبقى، والمشروع الاستعماري الاستيطاني هو بنية وليس حدثا، أي عملية مستمرة من الإلغاء المادي والرمزي للآخر. في هذا الإطار، تتضح استراتيجية التمويه الإسرائيلية بين الممارسة والنظرية، عبر استخدام خطاب يبدو نقديا (نسوية، هوية، ذاكرة) لتغليف المشروع الاستعماري بثوب إنساني.

منصة للثقافة أم خشبة للسياسة؟

يعرض العمل الإسرائيلي في قاعة الأسلحة التاريخية بالأرسنال التي تعود لعام 1460، واستخدمت لتخزين أدوات الحرب ضد العثمانيين آنذاك. اليوم، وبعد أكثر من خمسة قرون على تخزين أسلحة الجمهورية فيها، تتحول القاعة ذاتها إلى منصة لعمل فني إسرائيلي تأملي، في تواطؤ ضمني من المنظمين الذين يتجاهلون الاحتجاجات الشعبية والدولية المتصاعدة، ودعوات "تحالف الفن ليس إبادة جماعية" (ANGA) لاستبعاد إسرائيل. تتمسك الإدارة بموقف الحياد مكررة مقولة "لا صلاحية لديها لاستبعاد دول"، بينما تذهب في الوقت ذاته لأبعد مدى في استضافة الجناح الإسرائيلي، مانحة إياه مساحة في الأرسنال بدل إجباره على استئجار جناح خاص مثل باقي الدول.

وعندما يصف الفنان الإسرائيلي عمله بأنه "رؤية أمل وشعور إنساني، نقيض للإقصاء"، فإنه يمارس بالضبط ما يحذر منه نقاد ما بعد الاستعمار؛ تحويل الإبادة إلى مادة جمالية قابلة للاستهلاك.

---

*فنان وكاتب فلسطيني يعيش في بيت لحم

غسان زقطان يتحدث عن البلدة التي لم يتحدث عنها

ايطاليا- رام الله- صدر مؤخرا، عن "منشورات المتوسط – إيطاليا"، كتاب جديد للشاعر الفلسطيني غسان زقطان، وجاء بعنوان "البلدة التي لم أحدثك عنها". وهو عمل شعري يتقاطع فيه السرد مع الغنائية، وتلتقي فيه ذاكرة المكان بحدة الفقد، لتتحول القصائد إلى مرايا صغيرة تعكس حياة كاملة، مبعثرة بين الأسواق والطرقات، محمولة على أصوات الأمهات والجدات والغرباءينبني الكتاب على بلدة حاضرة/غائبة، يتردد اسمها في النصوص كأنها سؤال، وكأنها محاولة لاستعادة زمن لم يكتمل. بهذا المعنى، يقدم الشاعر كتابة لا تنغلق على نفسها، بل تفتح جراحها أمام القارئ، جاعلة من الشعر وسيلة مقاومة للنسيان، ومن القصيدة وثيقة شخصية ووجدانية في آن واحد بصفاء اللغة وعمق الصورة، يمضي الكتاب ليؤكد مكانة صاحبه كأحد الأصوات الأكثر تميزا في المشهد الشعري العربي المعاصر. صوت قادر على أن يمنح التفاصيل اليومية شحنة أسطورية، وعلى أن يعيد بناء الخرائط الداخلية من حجارة الكلمات وأجنحتها.

أخيرا، صدر الكتاب في 96 صفحة من القطع الوسط. ضمن سلسلة "براءات"، التي تصدرها الدار وتنتصر فيها للشعر، والقصة القصيرة، والنصوص، احتفاء بهذه الأجناس الأدبية.

من الكتاب:

بلادي التي لا بلاد لها
وحدها في الطريق الطويل إلى البيت
بستانها خلفها والطيور التي شربت من
مياه الوضوء
مر عنها الغبار ومر بها البرد والريح مرت
ومر بها عابرون قساة
ومر بها أنبياء رعاة
وظلت هناك على حافة الكون
حنطية في الطريق،
وبيضاء، بيضاء،
بيضاء في الحلم من غير سوء.

عن الكاتب:

غسان زقطان، شاعر وكاتب فلسطيني ولد في بيت جالا. يعد من أبرز الأصوات الشعرية الفلسطينية والعربية في العقود الأخيرة. تنقل بين عدة عواصم عربية بسبب ظروف النفي والمنفى، من بينها عمان، بيروت، دمشق، تونس، ورام الله. كتب الشعر والرواية، وأصدر العديد من الأعمال الشعرية، منها: أسباب قديمة، رايات، بطولة الأشياء، استدراج الجبل، سيرة بالفحم، ذاهب لأصغي الى عجائب أبي. وفي السرد: وصف الماضي، حيث اختفى الطائر، وعربة قديمة بستائر. ديوانه تحدث أيها الغريب صدر عن منشورات المتوسط عام 2019. ترجمت أعمال غسان الى العديد من اللغات العالمية منها الإنجليزية والفرنسية والإيطالية. حاز على جائزة غريفن الدولية للشعر عام 2013، وجائزة محمود درويش عام 2016، ورشح في القائمة القصيرة لجائزة "نوستاد" الأميركية على دورتين 2014 / 2016. يعرف زقطان بدوره الريادي في تحديث القصيدة الفلسطينية، وتجربته التي تجمع بين العمق الشخصي والبعد السياسي دون شعارات مباشرة، مع اهتمام كبير ببنية اللغة والصورة.

"البوكر" الدولية: الإعلان عن القائمة الطويلة للروايات المرشحة للجائزة

وكالات - كشفت جائزة البوكر الدولية، قائمتها الطويلة في دورتها العاشرة منذ إعادة تنظيمها عام 2016، متضمنة ثلاثة عشر عملا مترجما إلى الإنكليزية، تتنافس على الجائزة البالغة قيمتها 50 ألف جنيه إسترليني، تقسم مناصفة بين المؤلف والمترجم.

وعلى رأس القائمة جاء الروائي الألماني دانيال كيلمان، الذي سبق له الوصول إلى القائمة القصيرة للجائزة، والذي ترجمت أعماله إلى ما يزيد عن 40 لغة، عن روايته "المخرج" بترجمة روس بنجامين، وهي مستوحاة من سيرة المخرج جي دبليو بابست خلال مرحلة تعاونه مع الرايخ الثالث.

كما اختيرت الدنماركية أولغا رافن عن "الطفل الشمعي" بترجمة مارتن إيتكن، والتي تعود إلى محاكمات الساحرات في الدنمارك بالقرن السابع عشر. وحضرت ثيمة السحر أيضا في رواية الفرنسية ماري نديه "الساحرة" بترجمة جوردان ستامب، والتي صدرت بالفرنسية عام 1996

ومن الأعمال التي تعود إلى عقود سابقة، وتعتبر محور اهتمام خاص، رواية "نساء بلا رجال" للكاتبة الإيرانية

شهرنوش بارسيبور بترجمة فريدون فروخ، الصادرة بالفارسية عام 1989، وما تزال محظورة في إيران، بعد أن تعرضت كاتبتها للسجن في ثمانينيات القرن الماضي.

وشملت القائمة حضور كل من الفرنسي ماتياس إينار عن "المنشقون" بترجمة شارلوت ماندل، وهو ترشيح يعد السابع عشر لدار "فيتزكارالدو" الأكثر حضورا في تاريخ الجائزة، والسويدية إيا غينبرغ عن "عزاء صغير" بترجمة كيرا جوزيفسون

وتحضر في القائمة كذلك رواية البلغارية رينيه كاراباش "هي التي تبقى"، بترجمة إيزيدورا أنغل، إلى جانب الألمانية شيدا بازيا عن "الليالي هادئة في طهران" بترجمة روث مارتن، والإيطالي ماتيو ميلكيوري عن "الدوق" بترجمة أنتونيلا ليتييري، وجميعهم يشاركون للمرة الأولى في القائمة الطويلة.

كما رشحت رواية الأرجنتينية غابرييلا كابيثون كامارا "نحن خضر ونرتجف" بترجمة روبن مايرز، وهو العمل الذي نال العام الماضي جائزة الكتاب الوطني الأميركي للأدب المترجم.

القائمة الطويلة تضم كذلك رواية "الجندي المذكر" للكاتب أنجيت دانجي والتي ترجمها ديفيد مكاي. ورواية "ما على الأرض يوجد تحتها" للكاتبة آنا بولا مايا، بترجمة بادما فيسواناثان. ورواية "رحلة تايوان" للكاتب يانغ شوانغ-تزي لمترجمها لين كينغ.

وفي تعليق لها على الجوائز قالت رئيسة لجنة التحكيم، الروائية ناتاشا براون: "تستكشف العديد من الروايات المدرجة العواقب المدمرة للحرب، كما تشمل الخلافات بين الجيران، القرى الجبلية الغامضة، مؤامرات شركات الأدوية الكبرى، نساء ساحرات، عشاق منحوسين، سجون مسكونة، وإشارات سينمائية غامضة"، مضيفة أنه "رغم أن مواعيد النشر الأصلية تعود لأكثر من أربعة عقود، إلا أن كل قصة تبدو جديدة ومبتكرة".

ومن المقرر إعلان القائمة القصيرة في 31 / آذار المقبل، على أن يكشف عن الفائز في 19 / أيار 2026 خلال حفل سيقام في "متحف تيت مودرن" بلندن.